الأستاذ الدكتور محمد خليفة – جامعة الأغواط – الجزائر

يساير مفهوم التعدد مفهوم التداخل في البنية الأساسية التي يقوم عليها النظام العروضي، فالأسباب والأوتاد هي اللبنات العروضية الأساسية التي تقوم عليها الأجزاء ، والقاعدة التي تنظم بنية الجزء من جهة كم هذه المكونات قاعدة واحدة تطبق على كل الأجزاء. ولهذا نجد تداخلا بين هذه الأجزاء على اختلاف أبنيتها ويمكننا التحقق من هذا التداخل على المستوى النظري من خلال النموذج التالي:

//o /o /o تتضمن هذه البنية الشكلين //o /o ، /o //o . كما تتناسب كميا مع الأشكال التالية :/o /o //o ، /o //o /o . وإذا انطلقنا من المستوى الصوتي لا السيبي الوتدي في التفريع أمكننا الحصول على الشكل /o /o /o/ ومن هنا يمكننا القول إن التداخل والتعدد مظهران حقيقيان في النظام العروضي، وهما انعكاس للعلاقة الدورانية بين المكونات .

يحمل التبديل الدوراني، في الدائرة العروضية، في طياته بذور التداخل بين البحور ، ويؤكد التحقيق الشعري هذه الوجهة. وقد نبه الباحث الدكتور مصطفى حركات إلى هذه الخاصية التي توصل إليها بوصفها نتيجة اختبارية فرأى أن البسيط الأول يتبادل والطويل الأول والثاني أوزانهما بسهولة،وكذلك الوافر الأول والكامل الرابع ، والوافر الثاني والكامل الثامن. والهزج مع الرمل. والمنسرح والخفيف. والمديد مع مجزوء البسيط والرمل الثاني والسريع *الأول*. والمضارع مع المقتضب والمجتث ومجزوء المنسرح ومجزوء الخفيف[1].وفي كل هذا ما يثبت أن التداخلات بين

[1] ـــ د. مصطفى حركات ،نظريات الشعر : ص 61 .

الأوزان والبحور أمر قائم في ظل التعدد ، فهل يعني هذا أن الخليل لم يضع ضوابط تحكم هذا التداخل ، ويتم التفريق بواسطتها بين وزن ووزن ؟ للإجابة على هذا نورد مجموعة من التداخلات القائمة بين أوزان البحر الواحد، وبين أوزان بحور مختلفة من دائرة واحدة ، وأوزان مختلفة بين بحور متباينة من دوائر مختلفة .

1 ــ أورد الخليل لبحر البسيط ثلاثة أعاريض وستة أضرب ، وتأتي عروضه الثالثة مقطوعة ممنوعة من الطي ولها ضرب مثلها على الشكل (/o /o /o) ولكن التحقيق الشعري لا يلتزم بصرامة هذا البناء، وقد وردت قصيدة لامرئ القيس مبنية على وزن هذا المخلع مع تداخل في الأعاريض ، والأضرب يقول[2] :

عيناك دمعهما سجـــــال كأن شأنيهما أوشـــــــال

1 ــ /o/o// o/// o// o/ o/ o//o/ o// o// o/o/o/

أو جدول في ظلال نخـــل للماء من تحتـــه مجـــــــال

2 ــ /o/ o// o/ o// o/ o// o/ o// o// o/ o// o/ o/ /

قد أقطع الأرض وهي قفر وصاحبي بازل شمـــــــلال

3 ــ /o/ o// o/ / o/ o/ o// o/ / o// o/ o/ o/

نـــاعمة نائم أبـــــــجلها كأن حاركها أثـــــــــال

4 ــ /o/ o// / o/ o/ / o/ o/ // o/ / o// o/ / o/ o//

تقدمني نهدة سبـــــــوح صلَّبها العضُّ والحيـــــــال

5 ــ /o/ o// / o/ o/ / o/ o/ o/ / o/ / o// o/ / o/ o/ /

[2] ــ الشنتمري ، شرح ديوان امرئ القيس : 509 ، 510 ، 511 .

تطعم فرخا لهـــــا صغيرا أزرى به الجوع والإحثـــال

6 ــ /o / /o// o/ /o// o/ /o /o /o / /o// o/ /o /o /o /o

قلوبَ خِـــزَّانِ ذي أورال قوتا كما يرزق العـــــــيال

7 ــ / /o //o/ /o / /o /o /o /o /o// o/ /o / /o /o /o /

كأنهم حرشف مبثـــــوث بالجو إذ تبرق النـــــــعال

8 ــ / /o //o/ /o / /o /o /o /o /o// o/ /o / /o /o /o /
ففي هذه الأبيات نلاحظ اختلاف الأعاريض والأضرب في التحقيق الواحد ، فقد جاءت العروض على الشكل (//o /o) في النماذج (1 ، 2 ، 3 ، 5 ، 6)، وعلى الشكل (/o /o /o) في النموذجين (7 ، 8) وعلى الشكل (/o / //o) في النموذج (4) .أما الضرب فقد جاء على الشكل (//o /o) في النماذج(2 4 ، 5 ، 7 ، 8) وعلى الشكل (/o /o /o) النماذج (1 ، 3 ، 6) إن هذا النموذج الشعري يكشف عن حقيقتين هامتين أولاهما أن الخليل لم يضع قانونا صارما يحد الوزن من جهة الأعاريض والأضرب ينطلق فيه من القواعد النظرية، وإنما أعطى الأوزان من مرونة التغيير بالقدر الذي دل عليه استقراؤه الواقعَ الشعري ومن هذا المنظور لا يجوز لنا أن نعد عمل الخليل الخاص بوضعه للأوزان عملا قسريا للاستعمال وثانيتهما أننا قد نجد في الاستعمال تداخلا لوزنين من نفس البحر كما هو عليه وضع النموذج (4) في المثال السابق إذ جاءت عروضه على الشكل (/o / //o) وجاء ضربه على الشكل (//o /o) وهذا هو وزن العروض المجزوءة والضرب المقطوع وهو وزن مستقل عند الخليل عن بقية أوزان البسيط، ومع هذا فقد تداخل مع وزن آخر مستقل هو العروض المقطوعة ، والضرب المقطوع.

لقد ورد في الشعر القديم نماذج أخرى تحقق هذا التداخل في إطار مخلع البسيط ،وبائية عبيد بن الأبرص[3] نموذج قوي الدلالة في هذا المعنى وسنكتفي ببعض الأبيات الشواهد على الرأي الذي نطرحه . يقول:

أقــفر من أهلــه ملحــوب فالقطــبيات فالــذنــوب

1 ــ /o/ o/ / o/ o// / o/ o/ o/ o/ o/ / o/ o// o/ o/

أرض توارثـــــها الجــدوب فكل من حلـــــها محروب

2 ــ /o/ o/ // o// o/ o/ o/ o/ / / /o/ o// o/ / o/ o/ o/

---

[3] ــ قال المعري عن ذنوبه(مختلفة النظم كقصيدتي عبيد وعدي ... وقصيدة عبيد أقفر من أهله ملحوب ووزنها مختلف وليست موافقة لمذهب الخليل في العروض) . انظر :ــ الفصول والغايات : 131 .وقال أيضا :

وقد يخطئ الرأيَ امرؤ وهو حازم كما اختل في نظم القصيد عبيد .

وقال ابن رشيق في معرض حديثه عن الزحاف : (ومنه قبيح مردود لا تقبل النفس عليه ، كقبح الخلق واختلاف الأعضاء في الناس وسوء التركيب ، مثاله قصيدة عبيد المشهورة :

أقفر من أهله ملحوب

فإنها كادت تكون كلاما غير موزون بعلة ولا غيرها حتى قال بعض الناس : إنها خطبة ارتجلها فاتزن له أكثرها).انظر: ــ العمدة : 140/1. وقال أبو يعقوب السكاكي عنها : " وهذه القصيدة عندي من عجائب الدنيا في اختلافها في الوزن ، والأولى فيها أن تلحق بالخطب ؛ كما هو رأي كثير من الفضلاء " انظر :

ــ أبو يعقوب السكاكي ، مفتاح العلوم : 637 ، تحقيق د . عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية بيروت 2000.

أو فلـــــــج واد ببـــطن أرض للمـــــــــاء من تحته قسيب

3 ــ /o /o// o/ / o/ / o/ o/ o/ o/ o/ o/ o/ o/

فإن يكن حـــــــــال أجمعها فلابـــــــــديء ولا عجيب

4 ــ / /o// o/ / o/ / / o/ / / o/ o/ o/ o/ /

أو يك أقفر منها جـــــــوها وعـــــادها المحل والجدوب

5ــ /o / /o// o/ / / o/ o/ o// / /o// o/ o/ o//

6 ــ / /o// o/ / o/ o/ o/ / /o// o/ / o/ o/ o/

وكل ذي إبل مـــــوروث وكل ذي سلـــــب مسلوب

7 ــ / /o// o/ / / o/ o/ o/ / /o// o/ / o/ o/ o/

بالله يدرك كل خيـــــــــــر والقـــــول في بعضه تلغيب

8ــ /o /o// o/ / / o/ o/ / o/ o/ o// o/ / o/ o/ o/

افلح بما شئت قد يبلغ بالضـــــــــعف وقد يخدع الأريب

9 ــ /o /o// o/ / o/ o/ //o/ o/ / /o// o/ / o/ o/

لا يعـــظ الناس من لا يعظ الـــد هـــــــــــــر ولا ينفع التلبيب

10ــ /o / /o// o/ / o/ o/ / o/ o// / /o// o/ / o/ o/

قد يوصل النـــــازح النائي وقد يقـــــــــــطع ذو السهمة القريب

11ــ /o /o// o/ / o/ o/ o/ o// / /o// o/ / o/ o/

والمـــــرء ما عاش في تكذيب طـــــــــول الحياة له تعذيب

12ــ /o /o// o/ / o/ o/ o/ o/ o/ o/ o// o/ / / o/ o/ o/

ريش الحمـــــــام على أرجائه للقلب من خوفه وجيـــــــب

13- /o /o// o/ / / o/ o/ o/ o// o/ o/ o// o/ / o/

عـــــيرانة مؤجد فقـــــــارها كأن حاركها كثيـــــــــــب

14- /o /o// o/ o/ / o/ / o/ o// o/ / / /o// o/ / / /o// o/ /

مضـــــبر خلقـــــــــها تضبيرا ينشق عن وجهـــــــها السبيب

15ـــ / /o// o/ / o/ / o/ o/ o/ / /o// o/ o/ / /o/ o/ /

زيتية نائم عروقـــــــــــها وليِّن أسرها رطيـــــــــــــب

16ـــ /o// o/ o/ o/ / o/ / /o/ / o/ / /o/ / o/

فنهضت نحوه حثيـــــــــــثا وحـــــــــردت حرده تسيب

17 ـــ / /o// o/ o/ / o/ o/ / o/ / o/ / /o/ o/ /

يضـــغو ومخلبها في دفـــــــه لا بـــــــــــد حيزومه منقوب

18ـــ /o// o/ o/// o/ / o/ o/ /o// o/ o/ / /o/ o/ o/

لم نورد القصيدة كاملة[4] (48 بيتا) لطولها وإنما اقتصرنا على الأبيات التي تمكننا من الاستشهاد للقضية التي نحن بصددها ، فما يلاحظ على هذه القصيدة شدة التنوع الوزني الذي لا يكاد يسلم منه بيت .فالقصيدة في إيقاعها العام مبنية على مخلع البسيط (/o /o// o/ /o// o/ /o /o/) وقد وردت فيها مجموعة كبيرة من الاضطرابات الإيقاعية الناجمة عن تداخل وزنين مختلفين من البحر البسيط ويمكننا رصدها على النحو التالي:

1 ـــ جاءت العروض على الشكل (/o /o/ o/) خمس مرات في النماذج (1 ، 6 ، 7 ، 12 ، 15) .

2 ـــ وردت العروض على الشكل(//o /o)أربع مرات في النماذج(2، 3، 8، 17)

[4] ـــ كتاب شعراء النصرانية في الجاهلية : 4/ 606 ، 607 ، 608 ، 609 ، 610 ، 611 .

3 ــ وردت العروض على الشكل (/0 /0 //0) أربع مرات في النماذج (5، 11، 13، 18)

4 ــ وردت العروض على الشكل (/0 / //0) مرتين في النموذجين (9 ، 10) وهذا الشكل أحد تحولات (/0 /0 //0) الممكنة غير اللازمة ، فهو بهذا المعنى محمول عليها .

5 ــ وردت العروض على الشكل (/ /0 //0) مرتين في النموذجين (14 ، 16) . وهذا الشكل أحد تحولات (/0 /0 //0) الممكنة غير اللازمة ، فهو أيضا محمول عليها .

6 ــ وردت العروض على الشكل (/ //0) مرة واحدة في النموذج (4) .

أما بالنسبة للضرب فقد جاء على الأشكال التالية :

1 ــ ورد الضرب على الشكل (/0 /0 /0) سبع مرات في النماذج (2 ، 6 ، 7 ، 8 ، 10 ، 12 ، 18) .

2 ــ ورد الضرب على الشكل (//0 /0) إحدى عشرة مرة في النماذج (1 ، 3 ، 4 ، 5 ، 9 ، 11 ، 13 ، 14 ، 15 ، 16 ، 17) .

نستنتج من هذا التنوع أن الضرب تعاوره شكلان هما (مفعولن ، و فعولن) وهذان الشكلان جائزان في ضرب مخلع البسيط إذ يمكن لهما أن يجتمعا في القصيدة الواحدة دون إحداث أي خلل إيقاعي في البنية الوزنية ، ولهذا السبب أجاز الخليل إسقاط الساكن الثاني من الجزء على أساس إمكان تعويض مقطع قصير مقطعا متوسطا إذ يتم تحول الجزء الأول إلى الثاني عن طريق الخبن[5] . ومن هنا فإن

[5] ــ أكد جواز هذا التحول عند الخليل صاحب العقد عندما ذكر العروض المقطوعة ، والضرب المقطوع فاستشهد لهما بأبيات دخل الخبن على أعاريضها وأضربها كقوله:

خُلــقتَ من بهجة وطيب إذ خلق الناس من تراب

الإشكال يطرح على مستوى تنوع الأعاريض من جهة ، وعلاقتها بالأضرب من جهة أخرى . كما أن العروض الثالثة المقطوعة (مفعولن) يمكن أن يدخلها الخبن فتأتي على الشكل (فعولن) دون حدوث أي خلل إيقاعي في تتابعها ضمن توالي الأبيات في القصيدة الواحدة ، وعلى هذا الأساس يجوز أن تتقابل البنيتان (/o /o /o) و (/ /o /o) في كل من العروض والضرب ، ويمثل هذا النمط العروض الثالثة بضربها الوحيد السادس . ولكننا نجد العروض قد جاءت على الشكل (/o /o //o) وهو وزن قائم بذاته مخالف في العروض الخليلي للوزن السابق إذ لم يذكر الخليل إمكانية تداخل هذين الوزنين ، ولو كان تداخلهما ممكنا في نظره لعدهما وزنا واحدا ، فالخليل لم يذكر القطع في عروض البسيط المجزوء . ولست أجد سببا إيقاعيا يحتم الفصل بين هذين الوزنين خاصة وأن الاستعمال يعضد فكرة الجمع بين هذين النمطين من العروض في هذا الوزن ، ويؤكد هذا الجمع أيضا الوزن المصنف في العروض الثانية والضرب الخامس على أساس البنية:

مستفعلن فاعلن مستفعلن مستفعلن فاعلن فعولن

فإذا صح من جهة الاستعمال ورود العروض (مستفعلن) مع الضرب (فعولن) في وزن واحد فلمَ لا يرد العروض (مستفعلن) مع العروض (مفعولن) أو (فعولن) ؟. إن التفسير الذي نراه في هذه القضية هو أن الخليل أعطى للعروض قيمة المحدِّد المطلق ، في مقابل المحدد النسبي بالنسبة إلى الضرب عندما يكون التغيير الذي

ولـــت حميا الشباب عني فلهف نفسي على الشباب .

انظر : العقد : 5/ 450 . ولا يختلف الشاهد الذي أورده الخليل والعروضيون من بعده عن هذا الاتجاه ، وهو قوله:

أصبحت والشيب قد علاني يدعو حثيثا إلى الخِضاب. انظر :

ـــ الجامـــــع : 113 .

يمسه من النوع اللازم ولذا أجاز أن يجتمع في عروض الوزن الواحد (/o /o //o) و (/ /o //o) و (/o / //o) لكون التغيير الداخل على الجزء (/o /o //o) من النوع غير اللازم (زحافا الخبن والطي) .كما أجاز أن يجتمع (/o /o /o) و (/ /o /o) لكون التغيير الداخل على الجزء زحافا غير لازم و لكنه لم يجز اجتماع (مستفعلن) و (مفعولن) أو (فعولن) لكون التغيير الداخل على العروض (مستفعلن) علة لازمة هي القطع ،فاللّزوم هنا له جانب وظيفي تفريقي يتم بواسطته الفصل بين وزن وآخر مكافئ له إيقاعيا في الاستعمال . ولنا هنا أن نتساءل عن العلة التي جعلت الخليل يفرد لكل وزن عروضا خاصة به يتم اعتمادها من خلال تغيير لازم لها . الواقع أننا نرجح التفسير الإجرائي فهذه التقسيمات إجرائية تسعى إلى ضم أكبر كم ممكن من التحقيقات في مقادير وزنية تصنيفية وإذا كان في هذالعمل ضرب من القسر للاستعمال فإن الخليل كان يسعى إلى وضع الحدود ، والقواعد التي يعضدها الاستعمال الشعري العام وليس الخاص ، وللقواعد ، في كثير من الأحيان شواذ تخرج عن العام السائد ولا تقدح في القاعدة التي تشمل الحد الأعلى من التحقيق .وقصيدة عبيد السابقة لم تسلم من القدح والانتقاد حتى عدها بعضهم خطبة استقام لقائلها أكثر الوزن وإن كان لم يقصد بها قول الشعر . وعلى الرغم مما في هذا الحكم من مبالغة أو مجانبة للصواب ، إذ هي قصيدة لا محالة ، فإنه يكشف عن احتمالين اثنين فإما أن الذائقة العربية لم تتقبل هذا التداخل بين الوزنين ، وهذا ما نشك فيه لما قدمنا قبلا من دعم التحقيق الشعري لإمكان ورود وزنين في مقدار واحد ، وإما أن تكون أيدي النقدة قد عبثت بالنص الأصل للقصيدة بضروب من التكييف الوزني قربته من وزن مخلع

البسيط حتى لم نكد نعثر فيه إلا على تحوير ضئيل لبعض القيم الإيقاعية ، وهو ما نرجحه[6].وما يدعم هذا الرأي أن ابن رشيق أورد لعبيد قوله ردا على النعمان :

أقفر من أهـــــــله عبيـــــد فاليوم لا يبـــــــــدي ولا يعيد[7]

o/ o// o// o/ o/ o// o/ o/ o/ o/ / o/ / o/ o// / o/

فمزج بين وزنين من بحرين مختلفين من دائرتين مختلفتين في بيت واحد ؛ فالشطر الأول من وزن مخلع البسيط من دائرة المختلف، والشطر الثاني من وزن الرجز الضرب الثاني المخبون المقطوع (فعولن) . وفي هذا مخالفة لما تم اعتماده في القاعدة من الفصل بين الوزنين في إطار البحر الواحد ، بله الفصل بين الأوزان التي توجد في دوائر مختلفة . ولكننا نجد البيت نفسه يورده الأب لويس شيخو وهو[8] :

أقفـــــــر من أهله عبيـــد فليس يبـــــــدي ولا يعـــيد

o/ o/ / o/ / o/ o// o/ / o/ o/ / o// o/ o// / o/

ونلاحظ في هذه الرواية أن البيت قد تم تكييف شطرِه الثاني وشطرَه الأول ليقوما على وزن واحد هو مخلع البسيط. ولعل في شواهد العروضيين المكيفةِ مع محل الاستشهاد دليلا فيه مغنى لكل مريد .

---

[6] ـــ مما يدعم هذا الرأي كثرة الروايات لهذه القصيدة ، واختلافها .

[7] ـــ العمـــــدة : 1/ 194 .

[8] ـــ أورده في شعراء النصرانية ص 601 ضمن مقدار من بيتين هما :

أقفر من أهله عبيد فليس يبدي ولا يعيد

عنت له عنة نكود وحان منها له ورود.

2 ـــ يتداخل السريع مع الكامل على الشكل التالي:

ا ـــ عروض السريع المخبولة المكسوفة وضربها المماثل لها :

o// / o// o/ o/ o// o/ o/ o// / o// o/ o/ o// o/ o/ o// / o// o/ o/ o// o/ o/

تتداخل مع عروض الكامل الحذاء وضربها المماثل لها :

o// / o// o/ // o// o/ // o// / o// o/ // o// o/ // o// / o// o/ // o// o/ //

ويتم التداخل بينهما نتيجة لجواز تسكين الثاني المتحرك من أجزاء الحشو بحيث تؤول (// /o //o) إلى (/o /o //o) فإذا دخل الإضمار جميع أجزاء الحشو صدرا وعجزا يتماثل الوزنان حتى يصيرا واحدا .ولا يمكننا التمييز بينهما إلا من خلال بنية حاصرة قبلية أو بعدية يتميز فيها التكوين (// /o //o) .

ب ـــ عروض السريع المخبولة المكسوفة وضربها الأصلم :

o// / o// o/ // o// o/ // o// / o// o/ // o// o/ // o// o/ o/ o/

تتداخل مع عروض الكامل الحذاء وضربها الأحذ المضمر :

o// / o// o/ // o// o/ // o// / o// o/ // o// o/ // o// o/ o/ o/

ويتم التداخل بينهما نتيجة لجواز دخول الإضمارجميع أجزاء الحشو صدرا وعجزا بحيث تؤول (// /o //o) إلى (/o /o //o) فيتماثل الوزنان حتى يصيرا واحدا .ولا يمكننا التمييز بينهما إلا من خلال بنية حاصرة قبلية أو بعدية يتضح فيها التكوين (// /o //o) . ويمكننا في هذا الباب أن نورد جانبا من التحقيق الشعري يوضح هذه الفكرة نقتطعه من ميمية المرقش الأكبر التي بناها في عمومها على وزن السريع ، وقد ورد فيها قوله[9] :

[9] ـــ الضبي أبو العباس ،المفضل بن محمد ، المفضليات : 237 ، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، دار المعارف 1983 . وقد عد بعض الدارسين هذه القصيدة من

ما ذنبـــــنا في أن غزا ملك من آل جفـــــنة حازم مرغمْ

o/ o/ o// o/ / / o// o/ o/ o// / o// o/ o/ o// o/ o/

بيض مصاليتُ وجوهـــــهم ليست مياه بحـــــارهم بعممْ

o/// o// o// / o// o/ o/ o/// o// o/ o/ o// o/ o/

فقد ورد الجزء الثاني من الشطر الثاني ، والشطر الرابع على زنة (متفاعلن) ، وهي وحدة الكامل ، ولما كانت هذه الوحدة يمكن أن تؤول إلى (فعِلن) بالحذ عروضا وضربا ، ثم يمكن أن يدخلها الإضمار ضربا فتؤول إلى (فعْلن) فقد تداخلت هنا مع السريع في وزنه المخبول المكسوف عروضا الأصلم ضربا ، كما هو عليه وزن البيت الأول ، ووزنه المخبول المكسوف عروضا وضربا ، كما هو عليه وزن البيت الثاني.

3 ـــ يتداخل الرجز التام :

o// o/ o/ o// o/ o/ o// o/ o/ o// o/ o/ o// o/ o/ o// o/ o/

مع الكامل التام :

o// o/ // o// o/ // o// o/ // o// o/ // o// o/ // o// o/ //

السريع ، ولكن النظرية الخليلية تعدها من الكامل نظرا لوجود جزء (متفاعلن) سالما فيها ، فإذا تساوت الأعاريض والأضرب بين الوزنين لم يبق إلا التقابل الواقع بين (متفاعلن) و (مستفعلن) ، وكل متفاعلن يمكن أن تؤول بالإضمار إلى مستفعلن ، وليس العكس (تطبيقا لكلية التمام التي أقام الخليل عليها قسما من نظريته الإيقاعية)كما هو الحال في التداخل الذي يقع بين الكامل والرجز. انظر :

ـــ د. صلاح يوسف عبد القادر ، في العروض والإيقاع الشعري : 205 .

تداخلا مطلقا ، وهما يمثلان النموذج الأكثر تمثيلا للتداخل في الشعر ؛ نظرا لكثرة ورودهما متداخلين فيه . والواقع أن الذي ساعد على حدوث هذا التداخل مجموعة القواسم المشتركة الواقعة بين البحور المتداخلة ؛ فالكامل بحر صاف يقوم على أساس وحدة إيقاعية أحادية ، وكذلك الرجز.

تقوم وحدة الكامل الإيقاعية على جزء سباعي ، وكذلك الرجز.

تبدأ وحدة الكامل الإيقاعية بسببين وتنتهي بوتد ، وكذلك الرجز فهما متفقان إذن في الترتيب .

لا يختلف تكوين الوحدة الإيقاعية للكامل عن مقابلتها في الرجز إلا في السبب الأول فهو في الكامل ثقيل وفي الرجز خفيف .

تتكرر الوحدة الإيقاعية في الكامل ثلاثا في الشطر وكذلك هو وضع الرجز

يمكن للكامل أن يرد تاما مسدس البيت في الاستعمال ، وكذلك الرجز.

ونظرا إلى إمكان تعويض المقطع المتوسط مقطعين قصيرين بحيث يعوض السبب الخفيف السببَ الثقيل فقد كان من الوارد تعويض (// /o //o) ب (/o /o //o) دون أدنى خلل . وما ذكرناه هنا عن الكامل والرجز يصدق أيضا بالنسبة لتداخل السريع والكامل فإذا وجدنا بيتا من الشعر جاء على الوزن :

/o // /o //o /o /o //o /o /o /o // /o //o /o /o //o /o /o //o

فهل نعده من الكامل الأحذ عروضا وضربا ، المضمرِ أجزاء الحشو جميعها ؟ أم هل نعده من السريع المخبول المكسوف عروضا وضربا ؟ .

وإذا وجدنا بيتا من الشعر جاء على الوزن :

/o // /o //o /o /o //o /o /o /o /o //o /o /o //o /o /o //o

فهل نعده من الكامل الأحذ عروضا وضربا المضمر ضربا وحشوا ؟ أم هل نعده من السريع المخبول المكسوف عروضا الأصلم ضربا[10] ؟ .

الواقع أن الخليل قد وضع ضوابط تفريقية تحد من غلواء هذا التداخل وتوجه الدارس إلى تحديد الوزن ففي هذه الحالة يطبق مبدأ الجنوح إلى الأخذ بالتمام فإنْ عُدم التمام فالأقل نقصا ، وهنا نجد أن عروض الكامل وضربه جاء مغيرا وكذلك السريع ، ولكن حشو السريع جاء على وحدته الأصلية بينما جاء حشو الكامل وقد دخل جميع حشوه الإضمار ، وعلى هذا تكون نسبة المقدار إلى السريع لا إلى الكامل حتى يثبت العكس بورود مقدار آخر تابع له فيه وحدة (// /o //o) .

وكذلك هو الأمر بالنسبة للتداخل بين الكامل والرجز فالقاعدة العروضية ترجح التحديد لصالح الكامل في الحالة التي يرد فيها جزء واحد على الشكل (// /o //o) حتى ولو كان منفردا في بنية قائمة على (/o /o //o) ، وهذا جانب منطقي دقيق في قواعد العروض الخليلي إذ يمكن الانتقال من التمام إلى النقصان بضروب الحذف تسكينا أو إلغاء ، ولكن لا يجوز الزيادة على التمام[11] . ومن هذا المنطلق يمكن أن يتحول

---

[10] ــ ذكر العروضي حكاية عن الأخفش أنه قال إن الخليل " كان يقول فعِلن هو زحاف مفعولاتن{ الصواب مفعولات}كأنه جعل فيه بعض وتد لأن اللام عنده من الوتد و لم يجعل في الضرب الأخير من الوتد شيئا " . و لم يطلق الخليل على هذا النوع من العلة اسما حسب العروضي ، فكأن مصطلح الصلم جاء بعد الخليل . انظر:

ــ الجـــــــامع : 143 . ومع هذا فقد أورد ابن عبد ربه مصطلح الضرب الأصلم ، وهو الذي صرح في أرجوزته بالنقل عن الخليل . انظر :

ــ العقد : 5/ 466 ، 431 .

[11] ــ طبق الخليل هذا المبدأ على الأجزاء بحيث يُعد كل جزء غيرِ مغير ولا محول من غيره ممثلا لمبدأ التمام . وقد نقل هذا المبدأ إلى الدائرة فكانت المقادير الوزنية فيها ممثلة لمبدأ التمام ؛ وهو

الشكل (// /o //o) إلى الشكل (/o /o //o) وليس العكس .

4 ــ يتداخل مجزوء الكامل في ضربه المقطوع الذي يرد على الشكل :

متفاعلـــــــن متفاعلـــــــن متفاعلـــــــن فعِـــــــلاتن

مع المجتث الذي يرد بناؤه على الشكل:

مستفـــــع لن فعِلاتـــــــــن مستفـــــع لن فعِلاتـــــــــن

ولكن هذا التداخل لا يقع على مستوى البنية القواعدية ، وإنما على مستوى الاستعمال . فالبنية الصوتية لا تفرق بين الجزء (مستفعلن) المبني على وتد مجموع أو المبني على وتد مفروق . ولا يقع هذا التداخل في البيت إلا في حالة التصريع إلا أنه ورد عند ابن عبد ربه في قوله[12] :

يا دهـــــــر ما لي أصفـــــى وأنت غير مُـــــــواتِ

o/ o/ / / o// o/ / o/ o/ / / o// o/ o/

فهذا البيت إذا أخذ منفردا لا يمكن عده إلا من المجتث ، ولكنه ورد في مقطوعة من خمسة أبيات أربعتها من مجزوء الكامل و لم يشذ منها إلا هذا الأول . ويرجع هذا التداخل إلى تماثل الضربين في الوزنين على اختلاف أصولهما من الناحية

مبدأ افتراضي إجرائي لبناء المنظومة القواعدية العروضية ولا يمكن عده قسرا من الخليل للواقع الشعري.

[12] ــ جاء بعد هذا البيت قوله:

جرعتني غصصا بهـــــــا كدرت صفـــــو حياتي

أين الذين تســـــــابقوا في المجد للغايـــــــات

قوم بهم روح الحيـــــــاة ترد في الأمـــــــــوات

(وإذا هم ذكروا الإســـــا ءة أكثروا الحسنـــات) .

انظر :ــ العقـــــد : 457/5 .

القواعدية ، و لم يكن من الممكن أن تتماثل العروضان إذ إن عروض مجزوء الكامل لم ترد مقطوعة على الشكل (// /o /o) ، وإنما الذي سوغ ورودها على هذا الشكل توهم دخول التصريع البيتَ . كما يعود التداخل إلى دخول الإضمار حشو الكامل .

5 ــ يتداخل ، في الاستعمال ، الرجز المصرع في ضربه الثاني المقطوع الذي يأتي على الشكل :

مستفعــلن مستفعلـــــن مستفعلن مستفعــلن مستفعلـــــن مفعولن

o/ o/ o/ o// o/ o/ o// o/ o/ o// o/ o/ o// o/ o/ o// o/ o/

مع العروض الرابعة المكسوفة من مشطور السريع[13] الذي يأتي على الشكل :

مستفعــلن مستفعلـــــن مفعولن (/o /o //o /o //o /o o// o/ o/ /o /o /o) .

ومن هذا النوع من التداخل البيت الذي أورده صاحب العقد في شاهده على الضرب المقطوع من الرجز[14] :

قلب بلوعات الهـــــوى معمود حـــــيٌّ كَميْت حـــــاضرُ مفقود

o/ o/ o/ o// o/ o/ o// o/ o/ o/ o/ o/ o// o/ o/ o// o/ o/

فهذا المقدار يمكن حمله على الرجز المصرع ، كما يمكن عده من السريع المشطور.

---

[13] ــ يتم التفريق بينهما قواعديا من خلال العلة فضرب الرجز مستفعلن يؤول إلى مفعولن بالقطع بينما يؤول ضرب مشطور السريع مفعولات إلى مفعولن بالكسف. كما يتم التفريق بينهما باعتماد الوزن الأتم .

[14] ــ العقـــــد : 5/ 459 .

6 ــ يتداخل على مستوى البنية الصوتية في الاستعمال ، المضارعُ المقبوض الذي يأتي على الشكل :

o/ o/ /o/ o/ / o// o/ o/ /o/ o/ / o//

مع وزن المجتث المخبون[15] الذي يأتي على الشكل نفسه ، كما ورد في الشاهد العروضي[16] على المضارع:

إذا دنا منك شبـــــــرا فأدنـــــــه منك باعـــــــا

o/ o// o/ o// o/ / o/ o/ / o/ o// o/ /

فهذا البيت يمكن عده من المضارع الذي قُبض حشوه صدرا وعجزا ، كما يمكن عده من المجتث الذي خُبن حشوه صدرا وعجزا . وفي هذه الحالة من التوازن بين المقدارين من جهة العامل المغيِّر ــ وهو هنا زحاف بحذف الساكن في كلا الجزأين على اختلاف في ترتيبه ثانيا أو خامسا ــ فإن ترجيح نسبة البيت إلى المضارع أو إلى المجتث يصبح أمرا صعبا ، ولست أدري العلة التي لأجلها حُمل هذا البيت الشاهدُ على المضارع المقبوض علما بأنه كان من الممكن حمله على المجتث المخبون

وقد ورد هذا الشاهد برواية أخرى ووزن آخر هو[17] :

إن تـــــدن مـــنه شـــبرا يقـــــربك مـــنه بـــاعا

---

[15] ــ يفرق بين االمضارع والمجتث بالتغيير فلا يدخل الخبن المضارع بينما يدخل المجتث ، ولا يدخل القبض المجتث بينما يدخل المضارع .

[16] ــ الكافي : 118 . وشفاء الغليل : 233 .وقد أورد هذا الشاهد أبو الحسن العروضي .

[17] ــ الجامع : 158 . والعقد : 5/ 472 .

o/ o/ / o/ / o/ o/ / o/ o/ / o/ / o/ o/

والبيت هنا من المضارع ولا يتداخل مع المجتث ، وإنما دخل الكف حشوه صدرا وعجزا ، ودخله الخرم صدرا . وقد أورد ابن عبد ربه هذا الشاهد برواية أخرى لم يتم فيها خرمه وهي :

وإن تـــــدن مـــنه شـــبرا يقـــــرِّبك مـــنه بـــاعا[18]

وهذا الاضطراب في إيراد البيت نرجعه على الأرجح إلى محاولة العروضيين أحيانا تطويع الشاهد لخدمة محل الاستشهاد بإيراد ضروب التغييرات الممكنة في الوزن كحذف الواو للتدليل على جواز إسقاط أول الوتد في بداية المقدار ، ولكنه قد يكون عملا عفويا ينتفي فيه جانب القصد في التغيير .

7 ــ يتداخل مجزوء الوافر في ضربه المعصوب الذي يأتي على الشكل :

مفـــــــاعلتن مفـــــــاعلتن مفـــــــاعلتن مفاعيلـــــــن

مع الضرب الأول من الهزج الذي يأتي على الشكل :

مفاعيلـــــــن مفاعيلـــــــن مفاعيلـــــــن مفاعيلـــــــن

ويتم هذا التداخل عندما تعصب جميع أجزاء مجزوء الوافر فتتحول بنيته الوزنية إلى الهزج ، و لم يضع الخليل أساسا تفريقيا يمكننا من ترجيح كفة النسبة إلى هذا الوزن أو ذاك ، إذ لا مانع من تسكين الخامس المتحرك عند العروضيين الذين

[18] ــ نفســـــه : 492 .

نقلوا رأي الخليل في هذه المسألة ف " في كل مفاعلتن فيه يجوز سكون خامسها حتى يصير مفاعلْتن فينقل إلى مفاعيلن "[19].

وإذا كانت كتب العروض قد أوردت شاهدا على دخول العصب الحشوَ في مستوفي الوافر ، وهو قول عنترة[20] :

دعـــــــاني دعوة والخيل تردى فما أدري أباسمـــــي أم كنانـــــي

فإنها لم تورد شاهدا على هذ الإمكان من التداخل في مجزوء الوافر ، ومع هذا فإن هذا التداخل يبقى واردا بالقوة على مستوى التحقيق الوزني ، وهو قائم بالفعل على مستوى النظرية العروضية.

8 ــ يتداخل الطويل والكامل ، في بعض الأحيان نتيجة ضروب من التغييرات تمسهما ، ويمكننا أن نورد في هذا الباب بيتين من مقطوعة لامرئ القيس هما[21] :

ما هـــاج هذا الشوق غير منازل دوارس بين يـــذبلِ فرِقان

1 ــ o/o// / o// o// o/ / / o// o// o/ // o// o/ o/ o// o/ o/

أمن ذكـــر نبهانـــية حل أهلها بجـــزع المـــلا عيناك تبتـــدران

2- o/o// / o// o/ o/ o// o/ o// o// o// o/ o// o/ o/ o// o/ o//

جاءت هذه المقطوعة في إيقاعها العام على الضرب الثالث[22] من الطويل (فعولن) ولكننا نلاحظ أن الشطر الأول من البيت الأول قد جاء على وزن شطر من

---

[19] ــ الجـــامع : 115 .

[20] ــ عنترة ، الديوان : 294 ، تحقيق محمد سعيد مولوي ، بيروت 1970 .

[21] ــ الأعلم الشنتمري ، شرح ديوان امرئ القيس : 527 ، 528 .

الكامل الذي دخل الإضمار جزأي حشوه مع بقاء جزء العروض سالما . ولكن دخول هذ التغيير على تام الكامل لا يكفي لحدوث التداخل بينه وبين شطر الطويل ، ويمكننا التأكد من هذا بمقابلة الوزنين كالتالي :

شطر الكامل مضمر الحشو : o// o/ // o// o/ o/ o// o/ o/ o// o/ //

شطر الطـــــــــــــويل : o// o/ o// o/ o/ o// o/ o// o/ / o//

إن بداية المقدار الوزني في شطر الطويل تفضل مثيلتها في الكامل بحركة في البداية ، وعليه فإننا إذا أسقطنا هذه الحركة تتحول الوحدة الإيقاعية الثنائية الأولى في الطويل إلى وحدتين إيقاعيتين أحاديتين من الرجز ، أو الكامل بدخول الإضمار عليه . ولكن ما يتبقى من الطويل لا ينطبق ووحدة الكامل صحيحة أو مغيرة ، ويعود هذا التباين إلى وجود ساكن زائد في بنية المقدار المتبقي من الطويل لا تقبله وحدة الكامل ، وموقعية هذا الساكن الزائد هي الخامس من جزء الطويل (فعولن) ولهذا يجب دخول القبض على (فعولن) الواقع في الوحدة الإيقاعية الثانية حتى نحصل على (متفاعلن) ، وهذا ما حدث فعلا في الشطر المتداخل[23] فلقد دخل

---

[22] ـــ أوردنا نوع الوزن للتوضيح فقط ، ولا نعني بإيراده أن التداخل بين الطويل والكامل لا يقع إلا في هذا الوزن من الطويل بل بالعكس فإن هذا التداخل يقع في كل عروض مقبوضة ، وفي كل عجز مماثل ضربها لهذه العروض ، وهو في الشاهد السابق واقع في صدر البيت الذي عروضه على زنة (مفاعلن) . وعروض الطويل حسب القاعدة الخليلية تأتي دائما مقبوضة ، ولا يشذ عن هذا الحكم إلا الأبيات التي يدخلها التصريع إذ تتساوى أعاريضها وأضربها من جهة حكم الوزن ، مع تبعية العروض للضرب .

[23] ـــ مما يقلل من وقوع التداخل أن الخرم لا يقع في الأوزان إلا قليلا ، ويكاد يختص ببداية البيت ، ومن هنا يأتي الشطر الثاني مجددا مانعا للتداخل .

الخرم بداية بيت الطويل ثم قبض جزء (فعولن) الثاني فتم التداخل[24] . ومن هذا النمط أيضا قول يحي بن زياد الحارثي من أبيات الحماسة[25] :

لما رأيت الشيب لاح بياضه بمفرق رأسي قلت للشيب مرحبا

فشطره الأول جاء على زنة الكامل المضمر (/o /o //o ــ /o /o /o //o ــ // /o //o) ، ولكن شطره الثاني جاء على زنة الطويل (//o / ــ //o /o /o //o ــ /o /o// ــ //o / /o) .

9 ــ يتداخل الكامل مع الطويل كما ورد في قول ابن الأشيم[26] :

لقد طال إيضاعي المخدَّم لا أرى في الناس مثلي من معد يخطب

حتى تأوبت البيـــــوت عشية فوضعت عنـــــه كوره تتثاءب

---

[24] ــ ومن هنا نرى أنه ليس شرطا أن يتم التداخل نتيجة لدخول الخرم وزن الطويل .قالت أم خالد الخثعمية :

أيتها النفس التي قادها الهوى أما لك إن رمت الصدود عزيم

فالشطر الأول قد سقط منه متحركه الأول بالخرم ، ولكن فعولن الثاني لم يقبض فكانت سلامته مانعة للتداخل بين الوزنين.

[25] ــ المرزوقي ، شرح ديوان الحماسة : 3/ 1117 .تحقيق أحمد أمين و عبد السلام هارون ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة 1951، 1952 .

[26] ــ العمدة : 1/ 142 . وأكثر ما يشيع هذا التداخل بخرم الطويل كرواية الصاغاني لبيت علقمة بن عبدة : نحن جلينا من ضرية خيلنا نكلقها حد الإكام قطائطا. انظر:

.الزبيدي،مرتضى ،تاج العروس من جواهر القاموس: 43/20.دار الهداية.د.ت. ورواية ابن بري لبيت خفاف بن ندبة على الخرم لكونه مطلعا:

إن تك خيلي قد أصيب صميمها فعمدا على عين تيممت مالكا.انظر:

ابن منظور، لسان العرب:342/12. ط1.دار صادر .بيروت.د.ت.

فجاء الشطر الأول من البيت الأول على وزن الطويل أما بقية المقدار فقد ورد على الكامل ، وقد حصل هذا التداخل نتيجة لإضافة اللام في (لقد) وهذا ضرب من الخزم أورده ابن رشيق ، ولكنني أراه مخالفا لمفهوم الخزم الذي هو زيادة لا يعتد بها في الوزن ، أما إذا كانت الزيادة داخلة في تركيب وزني فإنها قد خالفت المفهوم وأدت إلى هذا التداخل .

10 ــ يتداخل الشطر الثاني من مجزوء البسيط الضرب المذال الذي يأتي على الشكل :

مستفعلـــن فاعلـــن مستفعلن مستفعلـــن فاعلـــن مستفعلان

مع السريع في ضربه الموقوف المطوي الذي يأتي على الشكل :

مستفعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن مستفعلن فاعلان

وينجم هذا التداخل من كون المقدار (مستفعلن فاعلن مستفعلان) هو ذاته المقدار (مستفعلن مستفعلن فاعلان) من جهة الكم ولا يختلف من جهة الترتيب إلا في (فاعلن) التي تأتي في المقدار الثاني تتقدم فيها النون اللامَ .

إن التداخلات الواقعة بين أوزان الشعر في البحر الواحد ، أوبين أوزان الشعر بين البحور المختلفة في الدائرة الواحدة ، أو بين أوزان الشعر وبحوره بين الدوائر المختلفة تعود إلى أمرين اثنين هما:

1 ــ يتم التداخل بين بحور الدائرة الواحدة ، في إطارها النظري ، وهذا أمر بديهي نتيجة لظواهر التفريع و الاشتقاق ، ولهذا السبب نجد كثيرا من العروضيين ، عندما شرحوا مفهوم الدائرة وكيفية الاشتقاق ، أتوا ببيت واحد من الشعر نموذجا للبحر الذي اعتمده الخليل أصلا في التفريع ، ثم فرعوا من هذا البيت الأصل مجموعة

البحور الممكنة . هذا يعني أنهم قد وضعوا كثيرا من الأبيات حتى تنطبق والأوزانَ الأصولَ في الدائرة فتحقق مفهوم التمام حتى وإن كان الاستعمال لا يثبتها ، فالغرض منها تحقيق الواقع الافتراضي في الدائرة ، وكدليل على هذا الرأي نورد أبياتا تؤكد صحة الوضع .

الطويل تأتي عروضه مقبوضة وجوبا في الشعر ولكنهم وضعوا له بيتا هو :

سما في العلى يحيي رسوم العطا الجزل همام له فضل وطول وإحسان

الوافر يأتي مقطوفا وجوبا، ولكنهم وضعوا له بيتا هو :

له نعم مضاعفة ينال بها مفاخرة ويحفظ أصلها حسب

الهزج لم يرد إلا مجزوءا ، ولكنهم وضعوا له بيتا هو :

وفى لي سيدي هارون بالعهد الـــــــــــذي كنا عقدناه فلم يغدر

السريع لم يرد في الاستعمال أبدا بجزء (مفعولات) وإنما ورد مكسوفا مطويا ، ولكنهم وضعوا له بيتا هو:

ماذا وقوف الصب بين الأطلالْ في مترل مستوحش رث الحالْ[27]

ونلاحظ هنا أنهم قد اضطروا إلى قلب (مفعولاتُ) إلى (مفعولانْ) لعدم إمكان الوقوف على المتحرك ، مما يدل دلالة قطعية على أن الأصل المعتمد في التفريع إنما هو المنسرح.

2 ــ يتم التداخل بين الأوزان على مستوى الاستعمال في التحقيق الشعري ، والخليل ، بما هو معروف عنه من التحلي بالروح العلمية والدقة في إيراد المسائل والقضايا، فقد كان ثبتا ثقة ، لم يقسر الاستعمال حتى يساير مجموعة القواعد العامة التي وضعها لضبط نظامه العروضي ، وإنما حاول أن يكيف هذا النظام الذي

[27] ــ الجامع : 240 ، 244 ، 246 ، 254 .

وضعه والواقعَ الشعري ، ومن هنا فقد وضع منظومة من الضوابط القواعدية تدخل في إطار هذا التكييف وتقوم بوظيفة توفيقية بين مستوى الواقع الشعري ، والواقع الافتراضي الذي قامت عليه الدائرة . ولكن هذه المنظومة لم تقتصر على هذه الوظيفة وإنما قرنتها بوظيفة أخرى تفريقية يتم من خلالها ضبط التداخلات الممكنة بين الأوزان من خلال الاعتماد على ضروب من العوامل التفريقية كالاستيفاء والجَزْء ، وأنواع الزحافات والعلل، والموقعيات. وهذا ما سنتناوله في المبحث التالي

التغيير الوزني بين التجلي والوظيفة

اعتمد الخليل في وضع نظامه العروضي منهجا وصفيا حاول من خلاله حصر الظواهر الوزنية في إطار نظري ببناء هرمي مقلوب يتم فيه الانتقال من النماذج الصوتية الدنيا إلى النماذج العروضية الدنيا ، إلى النماذج الإيقاعية ، إلى الأوزان التي تمثل التحقيقات العليا للشعر العربي . والخليل ، عندما وضع هذا النظام لم يكن مفتونا به إلى الحد الذي تتغلب عنده النزعة الذاتية على الاتجاه الموضوعي في التحليل والتعليل والتقعيد ، ولهذا فقد وضع النماذج الشعرية المخالفة لبنائه النظري نصب عينيه فنص عليها ونبه إلى الوجوه الخلافية فيها ، وحاول أن يوفق بين المستوى النظري الذي تمثله الدائرة ، والمستوى التطبيقي الذي يمثله الاستعمال فلجأ إلى ضروب من التغيير مست البحور الموجودة في الدائرة، وهي نماذج تامة. ولا نعني هنا بمفهوم التمام أن الأوزان التي وردت في الاستعمال تشكل نماذج ناقصة، بل إنها نماذج ولدت كما هي ولا يمكن أن نعدها محولة من مقابلاتها في الدائرة، و لم يقل الخليل أبدا بهذا، وإنما يأتي مفهوم التمام ومفهوم النقصان كفكرة نظرية تساعد في بناء النظام الافتراضي .ومن هنا كانت التغييرات التي تمس البحور في الدائرة كلها بالنقص . فمفاهيم الـــجَزْء، والشطر، والإنهاك تعني الاقتطاع من بنية

البحر(التامة) والزحافات جميعها تعمل بالنقص، إما بتسكين المتحرك مما يختزله من وحدتين زمنيتين إلى وحدة واحدة، وإما بالحذف على اختلافٍ في درجته.وكذلك العلل فإنها تعمل بالنقص، أما علل الزيادة فإنها في حقيقة الأمر ضرب من تعويض النقص الذي يلحق الوزن بدليل أنها لا تمس سوى الأوزان المجزوءة.

حدد الخليل هذه المفاهيم استنادا إلى الواقع الشعري . فلقد رأى أن بعض الأوزان لا تأتي إلا مجزوءة مقارنة بالمستوى النظري في الدائرة ، فقال بالجزء الوجوبي كما هو عليه وضع المديد ، والهزج ، والمضارع، والمقتضب ، والمجتث .

ورأى أن بعض الأوزان تأتي في الاستعمال مخالفة في أعاريضها وأضربها لمقابلاتها في الدائرة ، فأوجب من ضروب التغيير في هذه الأعاريض والأضرب ما يجعل الوزن في الدائرة مطابقا تحقيقَه في الاستعمال ، ولهذا نجده أوجب القبض في الطويل ، والخبن في البسيط ، والحذفَ في الرمل ، والكسف والطي في السريع. والواقع أن الخليل قد هداه استقراؤه الشعر إلى التمييز بين ضروب مختلفة من التغيير فلقد وجد أن بعض التغييرات التي أطلق عليها لقب الزحافات لا يمس إلا ثواني الأسباب ، كما وجد أن هذ النمط من التغيير يغلب عليه عدم اللزوم ،وأكثر ما يقع حشوا ، فإذا ورد في موقع لم يُشترط في أغلب الأحيان تكرره في المواقع المقابلة ، وإذا تكرر فإنه يتكرر في موقعيات بعينها دون غيرها ، ويغلب على هذه الموقعيات أن تكون ضربا أو عروضا . كما وجد نمطا آخر من التغيير لا يختص بالأسباب وإنما يتجاوزها إلى الأوتاد ، ولا يكاد يقع حشوا ، وأكثر ما يقع عروضا وضربا ، فإذا وقع فإنه يصبح في أغلب الأحيان لازما بحيث يجب تكرره في كامل المقدار الوزني . وقد أدى به الاستقراء أيضا إلى ملاحظة أن ثواني الأسباب قد يمسها جميعا التغيير في الجزء الواحد فقال بمفهوم الزحاف المزدوج ، ووجد أن هذا الزحاف إذا وقع فإنه في أغلب الأحيان يؤدي إلى اختلال في بنية الجزء تنعكس

على البنية الإيقاعية سلبا ، فقال بقبحه ، وقد رأى في الاستعمال داعما لهذا الحكم فالزحافات المزدوجة لا تقع في الشعر إلا قليلا ، مما يثبت تجنب الحس الإيقاعي لدى الشاعر لها .

وقد رأى الخليل أن هذه الزحافات تقع مواقع مختلفة من الجزء ، وتمس نوعين مختلفين من الأسباب : الخفيف ، والثقيل ، ويكون فعلها إما تسكينا أوحذفا ، ففرق بينها في التسمية لتوضيح الدلالة حتى لا تتداخل في ما بينها . فهي تكون موقعيتها إما ثانية ، أو رابعة ، أو خامسة ، أو سابعة ، ولكل لقبه .

فما يمس السبب الأول من الجزء بإسقاط ساكنه سماه خبنا ، وما يمسه بتسكين متحركه سماه إضمارا ، وما يمسه بحذف متحركه سماه وقصا .وما يمس رابع الجزء بإسقاط ساكنه سماه طيا .وما يمس خامس الجزء بإسقاط ساكنه سماه قبضا ، أو تسكينِ متحركه سماه عصبا ، أوإسقاطِ متحركه سماه عقلا . أما ما يمس سابع الجزء فإنه يلتزم حالة واحدة هي حذف الساكن لأن جميع الأجزاء تنتهي بالساكن ماعدا جزء (مفعولات) فإنه ينتهي بمتحرك موقعيته في الوتد فلا مجال لمزاحفته . وقد سمى هذا الحذف كفا. أما الزحاف المزدوج فقد سمى حذف الثاني والرابع الساكنين خبلا. وسمى حذف الرابع وتسكين الثاني خزلا . وسمى حذف الثاني والسابع الساكنين شكلا . وسمى حذف السابع وتسكين الخامس نقصا .

كما وجد أن العلل تقع مواقع مختلفة من الجزء ، وتعمل بضروب من التغييرات مختلفة أيضا ، وتمس نوعين مختلفين من الأوتاد : المجموع ، والمفروق ، كما يتعدى تأثيرها الأوتاد لتمس الأسباب ، وهي تعمل بالنقص مرة وبالزيادة أخرى ، وعلى هذا فقد أعطى لكل علة تسمية تميزها . فعلل الزيادة التذييل وهـــو زيادة حرف ساكن على ما آخره وتد مجموع ، والترفيل وهو زيادة سبب خفيف

على ما آخره وتد مجموع ، والتسبيغ وهو زيادة حرف ساكن على ما آخره سبب خفيف وهذه علل مختصة بمجزوءات الأوزان . أما علل النقص فهي الحذف وهو إسقاط السبب الأخير من الجزء ، والقصروهو حذف ساكن السبب الأخير من الجزء وتسكين متحركه ، والقطع وهو حذف ساكن الوتد المجموع وتسكين متحركه ، والبتر وهو حذف ساكن الوتد المجموع وتسكين متحركه مع حذف سبب من آخره (حذف+قطع) ، والقطف وهو حذف سبب خفيف مع تسكين الخامس (حذف+عصب) ، والحذذ وهو حذف الوتد المجموع من آخر الجزء ، والصلم وهو حذف الوتد المفروق من الآخر ، والكسف (الكشف) وهو حذف السابع المتحرك ، والوقف وهو تسكين السابع المتحرك ، والتشعيث وهو حذف أحد متحركي الوتد .

أما عن الضوابط الناظمة لعمل الزحافات فقد وضع الخليل آليات يتم من خلالها التحكم في عمل الزحافات بما يلائم أوضاع الأوزان وتطبيقاتها في الاستعمال وقد قال ابن رشيق في هذا المعنى : " وأما زحاف الحشو فمن أهمه معرفة المعاقبة والمراقبة. "[28]. ولهذا نجد مجموعة من المصطلحات تدل على هذه الآليات وهي :

المعاقبة : جواز حذف ساكن أحد السببين المتعاقبين في جزأين ، أو في جزء واحد

المراقبة : وجوب حذف ساكن أحد السببين في الجزء[29] .

المكانفة : جواز ثبات الساكنين ، أوذهابهما ، أوذهاب أحدهما .

---

[28] ــ العمـــــدة : 1/ 149 .

[29] ــ العمـــــدة : 1/ 150 .

فالتعاقب يدخل بين السببين المتتاليين في حشو الشعر ، وتكون في : المديد ، والرمل والخفيف ، والمجتث ، والهزج ، والكامل ، والوافر ، والطويل . ولكن المعاقبة لا تجري بأقسامها الثلاثة : الطرفين ، والصدر ، والعجز إلا في البحور الأربعة الأولى . فالمعاقبة في المجتث تكون بين نون (مستفع لن) وألف (فاعلاتن) بعده ، بحيث لا يجوز الجمع بين الكف والخبن بإسقاط سابع الجزء الأول ، وثاني الجزء الثاني ، وتؤدي المعاقبة هنا دورا وظيفيا يتمثل في منع حدوث متوالية من خمسة متحركات ، وهو ما لا يقع في شعر مطلقا . وتكون بين نون فاعلاتن وسين مستفع لن ، أما نون فاعلاتن التي في الضرب فلا يجوز سقوطها إذ لا يوقف بالبيت إلا على الساكن . إن هذا الضبط الذي وضعه الخليل للزحاف يعود إلى تكييف ضروب التغيير الناجم عن الزحافات والواقعَ الشعري ، فهو قد رأى أن الأشكال :

/o/ /o/ o/ o/ /o/ o/ و / /o/ o/ o// o/ و / /o/ o/ o// o/ و / /o/ o/ o// o/ /o/ o/ كلها ممكنة الورود في الاستعمال ، ولكن الشكل / /o/ / / //o /o غير موجود إطلاقا في الاستعمال ، ولهذا قال بمبدأ التعاقب الذي أخرج به مزاحفة ثواني الأسباب من الحكم المطلق إلى الحكم النسبي .

وتكون المعاقبة في المديد بين نون (فاعلاتن) و ألف (فاعلن) بحيث لا يجوز اجتماعهما سقوطا لانعدام هذا في الشعر ، فهو قد رأى أن جزء (فاعلاتن) يمكن في الحشو أن يأخذ الأشكال التالية :/ //o /o ــ /o //o / ــ / //o / .

كما يمكن لجزء (فاعلن) أن يأخذ الشكل : (فعِلن) . ولكن دخول هذين الجزأين في إطار الوحدة الإيقاعية لا يسمح بكل هذه التحولات في الاستعمال ، بدليل انعدام التشكيل :/ //o / / //o / o// / / //o /o .

فما زوحف لمعاقبة ما قبله سمي صدرا كسقوط الألف من فاعلن لثبات نون فاعلاتن ، وما زوحف لمعاقبة ما بعده سمي عجزا كسقوط نون فاعلاتن لثبات ألف فاعلن ، وما زوحف لمعاقبة ما قبله وما بعده سمي طرفين مثل جزء (فاعلاتن) الثالث إذا سقطت نونه لمعاقبة ألف فاعلن التي بعده ، وألفه لمعاقبة نون (فاعلاتن) التي قبله . وما ذكر من أقسام المعاقبة الثلاثة في المديد نجدها أيضا في المجتث إذ يقع الطرفان فيه في جزء مستفع لن الثاني بثبوت نون (فاعلاتن) التي قبله ، وألف (فاعلاتن) التي بعده .

وتكون المعاقبة أيضا في الرمل ، فكل (فاعلاتن) فيه يجوز سقوط ألفها حتى تصير (فعِلاتن)كما يجوز سقوط نونها حتى تصير (فاعلات) كما يجوز سقوطهما معا حتى يصير (فعِلات) ولكن المعاقبة تضبط هذا التغيير بين كل نون، وبين الألف التي تليها في الجزء الموالي بحيث يمكن ثباتهما معا، أو سقوط أحدهما. وفي الرمل تتحقق أيضا الأقسام الثلاثة للمعاقبة كما رأيناها في المجتث والمديد .

وتكون المعاقبة أيضا في الخفيف ففي كل (فاعلاتن) فيه تعاقب نونها الحرف الثاني من الجزء الذي يليها من بعدها ، إلا أن يكون الجزء الواقع بعدها (فعولن) ، كما تعاقب نون (مستفعلن) الحرف الثاني من الجزء الذي يليها من بعدها . وفي الخفيف تتحقق أيضا الأقسام الثلاثة للمعاقبة كما رأيناها في المجتث والمديد ، والرمل ، فالطرفان فيه نحو (مستفع لن) إذا آل إلى (مفاع لُ) و (فاعلاتن) الثاني ، والثالث إذا صار إلى (فعِلات) .

إن هذه الأنساق الإيقاعية الأربعة التي وقعت فيها المعاقبة بأقسامها الثلاثة يجمعها قاسم مشترك هو موقعية الوتد فيها إذ يقع في الرتبة الثانية من جميع الأجزاء

بحيث يتيح نهاية حدية أولية أو نهائية يشكلها السبب مما يسمح بدخول الزحاف على هذه النهايات .

ولكن المعاقبة لا تقتصر على السببين المتتاليين من الجزأين المتتابعين فقد تكون المعاقبة في السببين المتتابعين من الجزء الواحد كما هو عليه الوضع في :

1 ــ الطويل تدخل المعاقبة جزء (مفاعيلن) إذ يؤكد استقراء الشعر إمكانية سلامة هذا الجزء ، أو سقوط أحد ساكنيه الياء أو النون ، ولا يجيز سقوطهما معا بحيث يؤول إلى (مفاعلُ) .

2 ــ الوافر يدخل وحدته (مفاعلتن) العصب فتتحول إلى (مفاعيلن) فتعاقب الياء النون كما في الطويل .

3- الكامل يدخل وحدته (متفاعلن) الإضمار فتتحول إلى (مستفعلن) فتعاقب السين الفاء.

4 ــ الهزج[30] تدخل المعاقبة جزء (مفاعيلن) فيه كما في الطويل، والوافر المعصوب

5 ــ مستوفي المنسرح تختص المعاقبة بجزء العروض (مستفعلن) . لأنه في موقعية الحشو يجوز خبل هذا الجزء حتى يصير (متعل) وإنما اختصت المعاقبة بجزء العروض

[30] ــ أورد صاحب العقد ، وهو الذي أكد نقله آراء الخليل ، جواز القبض والكف بإطلاق في الهزج ، وبناء على هذا الرأي أوردنا المعاقبة فيه . انظر :
ــ العقد : 5/ 458 . ولكن أبا الحسن العروضي ذكر في هذه المسألة رأيا للخليل نسبيا فقال : " وكان الخليل لا يرى حذف الياء جائزا في عروض الهزج قال : لأنها إذا صارت مفاعلن ثم توالت الأجزاء فسقطت خوامسها إن ذلك يشبه الرجز . " انظر :
ــ الجـــــامع : 204 .

لأنه في حالة خبله نحصل على فاصلة كبرى فإذا أضفنا إليها المتحرك الأخير من جزء (مفعولات) الذي قبلها توالت خمسة متحركات ، وهذا ممتنع تحقيقا.

أما المراقبة فإنها تختص بالسببين المتتاليين في الجزء الواحد، وتختص بوزنين اثنين هما:

1 ــ المضارع تدخل المراقبة جزء (مفاعيلن) فيه ، فتراقب الياء النون بحيث لا يجتمعان معا ، ولا يسقطان معا ، وإنما يجب سقوط إحداهما وثبات الأخرى بحيث يرد هذا الجزء إما على الشكل (مفاعيل) أو على الشكل (مفاعلن) .

2 ــ المقتضب تدخل المراقبة جزء (مفعولات) بحيث تراقب الفاء الواو فنحصل إما على (فاعلات) في حال سقوط الواو ، وإما على جزء (مفاعيلُ) في حال سقوط الفاء[31].

وأما المكانفة فإنها تزيد على المعاقبة بجواز سقوط الساكنين معا ، ومن هنا فإنها تقع في المقادير الوزنية التي تحتمل مثل هذا السقط من جهة موقعية الأسباب ، وكذلك توالي المتحركات . فالمكانفة تمس الجزء (مستفعلن) الذي يمكنه أن يتحول إلى (متعلن) ، فكأنها قرينة الفاصلة الكبرى في إطار الجزء وهذه المقادير هي : البسيط ، والرجز ، والمنسرح المستوفي ، والسريع . وإنما كانت المكانفة في المنسرح

[31] ــ الواقع أن التحقيق الشعري لا يكاد يثبت للمقتضب الجزء (مفاعيل) ، وتجمع كتب العروض على الشاهد ذاته وهو: أتانا مبشرنا بالبيان والنذر
والفرق كبير بين هذا الجزء وبقية أجزاء المقتضب من الناحية التكوينية التناسبية ، ولهذا نجد دارسا مثل القرطاجني ينفي بقوة أن يكون هذا الشاهد صحيحا ، ويقوم بضبطه ليطابق جزء (فاعلات) ، وعليه ينفي دخول التراقب على المقتضب.
انظر : ــ القرطاجني ، منهاج البلغاء : 235 .

في الجزء (مستفعلن) الواقع حشوا ، لا في الجزء الواقع عروضا ، لما أسلفنا من وقوع تتابع لخمسة متحركات .

لقد أراد الخليل لمجموعة القواعد هذه أن تكون ناظمة لعمل الزحافات والعلل من جهتي التوفيق والتفريق ، ولكنه وجد أن الزحافات التي أجازها في مواضع بعينها لا تجوز في مواقع أخرى مماثلة لتلك التي تجوز فيها ، كما أن هذه الزحافات التي تفترق عن العلل من جهة الموقعية التي تمسها ، ومن جهة نمط عملها المتمثل في الجواز ، في مقابل اللزوم في العلة ، قد تأتي أحيانا مكتسبة صبغة اللزوم ، وغير خاضعة لمبدأ التعاقب والتراقب . وما لاحظه على الزحاف لاحظه على العلة فقد تقع في غير مواضعها القواعدية ، كما أنها قد تأتي أحيانا جارية مجرى الزحاف من جهة عدم اللزوم . ولما كان الخليل عالما أمينا فإنه لم يهمل الواقع الشعري حين تعارض والقواعد التي وضعها ، وإنما سعى إلى التنبيه على هذه الوجوه الخلافية ومعاملتها بما يؤكد وجودها في الاستعمال .

أعطى الخليل للزحافات التي التزم بها الشعراء في الحشو، وفي الأعاريض والأضرب صفة اللزوم وجعل لها في نظامه القواعدي دورا وظيفيا شبيها بعمل العلل في الأعاريض والأضرب، بمعنى أنها تقوم بعمل المحدد الوزني للتفريق بين الأوزان من خلال الصور المختلفة للبحر الواحد، أو الصور المتماثلة للأوزان المختلفة. وهنا تنتقل الزحافات من مفهوم الجواز المطلق إلى مفهوم الوجوب، أو اللزوم.ويمكننا في هذا المضمار أن نحدد الحالات التي يماثل فيها الزحاف العلة وظيفيا فيحدد الصورة الوزنية إما منفردا، في الأعاريض والأضرب كالتالي:

1 ــ القبض الوجوبي في عروض الطويل غير المصرع ، وفي ضربه الثاني (//o /o /o ←ــ//o / /o).

2 ــ الخبن الوجوبي في العروض الأولى للبسيط وضربها الأول المماثل لها (/o //o ⟵ /// ◄ ///o).

3 ــ العصب اللازم في الضرب الثاني من العروض الثانية المجزوءة الممنوعة من العقل من الوافر (///o// /o ⟵ /// ◄ /o /o /o).

4 ــ الطي اللازم في في الضرب الأول من العروض الأولى من المنسرح (/o /o //o ⟵ /o /// ◄ /o ///o)

5 ــ الطي اللازم في كل من عروض وضرب المقتضب (/o /o //o ⟵ /o /// ◄ /o ///o).

وإما مشتركا مع العلة على جهة اللزوم ، داعما لها في وظيفتها في الأعاريض والأضرب على النحو التالي:

1 ــ اجتماع الحذف مع الخبن في عروض المديد الثالثة وضربها الأول المماثل لها (/o //o /o ◄ /o /// ◄ ///o).

2 ــ اجتماع الإضمار والحذذ في الضرب الثالث من العروض الأولى التامة الكامل (// /o //o /o /o /o).

3 ــ اجتماع الطي والكسف في العروض الأولى من السريع ، وفي ضربها الثاني (/o /o /o /o ◄ /o /// ◄ ///o).

4 ــ اجتماع الطي والوقف في الضرب الأول من العروض الأولى من السريع (/o /o /o /o ◄ /o /// ◄ ///oo).

5 ــ اجتماع الخبل مع الكسف في العروض الثانية من السريع وضربها الأول (/o /o /o /o ⟵ /// ◄ /o ///)

6ــ اجتماع الخبن والقصر في الضرب الثاني المجزوء المقصور المخبون من العروض الثالثة المجزوءة من الخفيف(/o/o//o ← / /o/ o)[32].

وقد يقع التزام الخبن في الحشو ، على ندرة ، وتكون موقعية الجزء موضع التغيير مما يلي العروض أو الضرب ، كما يحدث في بعض المقادير الوزنية ، ويمكننا رصد هذا النمط من الزحاف في الضرب الثالث من الطويل فالجزء الذي قبله اعتماد[33] بلزومه القبض . وإنما لزمه هذا التغيير حتى لا تتشابــه التفعيلتان المتتاليتان فيخرج الوزن من القيام على الوحدة ثنائية[34].

[32] ــ أوردنا الوحدات الإيقاعية التي تكون عرضة لهذه التغييرات ، وهي الممثلة للأعاريض و الأضرب ، ويمكن استقصاء علاقة هذه التغييرات بتحديد صور الأوزان الممكنة تحقيقا لكل بحر بالرجوع إلى كتب العروض . انظر مثلا :

ــ العقد الفريد : 5/ من 442 إلى 476 .

[33] ــ ويسمونه عمادا أيضا . ولا يقتصر هذا المفهوم على إصابة الجزء بالتغيير فقد يعني لزوم السلامة أيضا قال المحلي : " وقد يحتاج عند ذكر بعض الضروب إلى ذكر العماد ، وهو كل جزء من أجزاء الحشو (يلي الضرب) خالف أمثاله بلزوم صحة أو تغيير (ليعتمد الضرب عليه) ". انظر :

ــ محمد بن علي المحلي ، شفاء الغليل ، ص 172 .ولكن أبا الحسن العروضي أعطى معنى آخر لمفهوم الاعتماد فقال : " وأما الاعتماد فكل جزء في أول البيت لا يجوز فيه الخرم. " انظر:

ــ الجامع : 218 .

[34] قال المحلي: " وأما تسمية الجزء الذي قبله عمادا فلمخالفته أمثاله من أجزاء الحشو بلزوم القبض غالبا ، كراهة اتفاق الأجزاء في دائرة المختلف." انظر :

ــ شفاء الغليل ، ص 217 .

وقد لاحظ الخليل أن المواقع التي يجوز فيها الزحاف قواعديا ، في العروض والضرب ، تُلتزم فيها السلامة أحيانا ، دون أن تكون خاضعة لمبدأ المعاقبة أو المراقبة ، ويكون التزام السلامة فيها مانعا من تداخل قد يقع بينها وبين أوزان أخرى . ويمكننا رصد هذه الظاهرة على النحو التالي :

1 ــ المديد :

ا ــ العروض الثانية محذوفة لازمة الثاني (فاعلن) ، وكذلك أضربها الثلاثة المقصور (فاعلان) والمحذوف (فاعلن) ، والأبتر (فعْلن) كلها لازمة الثاني .

ب ــ العروض الثالثة المحذوفة المخبونة ضربها الثاني أبتر لازم الثاني (فعْلن) .

2 ــ البسيط :

ا ــ العروض الأولى المخبونة التامة ضربها الثاني مقطوع لازم الثاني (فعْلن) .

ب ــ العروض الثانية المجزوءة ضربها الثالث مقطوع ممنوع من الطي (فعولن)

ج ــ العروض الثالثة مقطوعة ممنوعة من الطي (فعولن) ، وضربها مثلها .

3 ــ الوافر :

ــ العروض الثانية مجزوءة ممنوعة من العقل (مفاعلتن) .

4 ــ الكامل :

ا ــ العروض الأولى التامة ضربها الثاني مقطوع ممنوع إلا من سلامة الثاني وإضماره (فعلاتن) .

ب ــ العروض الثالثة المجزوءة ضربها الرابع مقطوع ممنوع إلا من سلامة الثاني وإضماره (فعلاتن)

5 ــ الهزج : ــ عروضه مجزوءة ممنوعة من القبض (مفاعيلن) .

6–الرجز: العروض الأولى التامة ضربها الثاني مقطوع ممنوع من الطي (مفعولن)[35]

7 ــ السريع :

ا ــ العروض الأولى مكسوفة مطوية لازمة الثاني (فاعلن) ، ولها ضرب مثلها مكسوف مطوي لازم الثاني (فاعلن).

ب ــ العروض الأولى ضربها الأول موقوف مطوي لازم الثاني (فاعلان) .

ج ــ العروض الثالثة مشطورة موقوفة ممنوعة من الطي (مفعولان) .

د ــ العروض الرابعة مشطورة مكسوفة ممنوعة من الطي (مفعولن) .

8 ــ المنسرح :

ا ــ العروض الأولى ممنوعة من الخبل (مستفعلن) .

ب ــ العروض الثانية منهوكة موقوفة ممنوعة من الطي (مفعولانْ) .

ج ــ العروض الثالثة منهوكة مكسوفة ممنوعة من الطي (مفعولن) .

9 ــ المضارع :

ــ له عروض واحدة مجزوءة ممنوعة من القبض ، وضربها مثلها (فاع لاتن) .

أما عن النمط الثاني من الاعتماد ، والمتمثل في امتناع المزاحفة في ما تجوز مزاحفته من المواقع فيظهر لنا في المتقارب :

---

[35] ــ حتى لا يتداخل مع السريع مستفعلن مستفعلن فعولن .

1 ــ الضرب الرابع (فلْ) من العروض الأولى (فعولن) ، فالجزء الذي قبل هذا الضرب تجب سلامته من القبض إذ لا يجوز إسقاط ساكنه الخامس بخلاف غيره من أجزاء الحشو التي يجوز قبضها. وإنما عد هذا الجزء عمادا لأن جزء الضرب قد سقط أكثره حتى ماثل السبب الخفيف فوجبت سلامة الجزء الذي قبله لئلا تختل البنية الإيقاعية للوزن .

2 ــ الضرب الثاني المجزوء الأبتر (فلْ) للعروض الثانية المحذوفة (فعلْ) فالجزء الذي قبل هذا الضرب تجب سلامته من القبض لما لحق الضرب من إجحاف .

إن هذه المقاييس التي وضعها الخليل لفاعلية الزحافات ، وبين من خلالها ما يمكن أن يُخرج الجانب القواعدي عن اطراده المطلق إنما تدل دلالة قطعية على أن الخليل كان يلتزم إلى حد بعيد بما يقره استقراء الواقع الشعري من أنظمة إيقاعية حتى ولو كان مخالفا لما وضعه من تقعيد . فالاستثناءات التي وضعها لقواعده العروضية لا تقدح في هذه القواعد بقدر ما تزيد من فاعليتها من جهة أنها تحصر ما يخرج عنها في شروط وأحكام مكملة لما قد يعتريها من نقص أو عدم انسجام مع الاستعمال .

أما العلة التي خالفت القاعدة من جهة الموقعية ، أو من جهة اللزوم فهي التشعيث[36] فلقد وجد الخليل أن الشعراء يوردونه في أشعارهم ، ولكنه قد يقع حشوا ، وإذا وقع لا يلتزمونه .

[36] ــ التشعيث حذف أحد متحركي الوتد المجموع من جزء (فاعلاتن) الواقع في الخفيف والمجتث ، حتى يصير (مفعولن) وهو حذف الثاني أي اللام على مذهب الخليل ، أو الأول أي العين على ما رجحه ابن الحاجب ، وهناك من ذهب إلى أنه حذف الألف الثانية وتسكين ما

يقع التشعيث في الخفيف في الضرب الأول[37] . كما يقع في المجتث[38]. وهو مختص بجزء (فاعلاتن).

أما النمط الثاني من التغيير الذي يشبه العلة من جهة اختصاصه بالوتد فهو الخرم ، ولكنه يختلف عن العلة من جهة اختصاصه بالوتد المجموع الواقع أولَ المقدار، ولذا فهو يقع في أول الطويل ، في (فعولن) ، وفي أول الوافر ، في (مفاعلتن) ، وفي أول الهزج ، في(مفاعيلن) ، وفي أول المضارع ، في (مفاعيل).

قبلها ، وهو مذهب ابن ولاد . وقد أجاز بعضهم التشعيث في المجتث على ندرة كقول الشاعر :

لم لا يعي ما أقول ذا السيد المأمول

وقد ذهب كثير من الدارسين إلى عده علة جرت مجرى الزحاف : فهو علة من جهة اختصاصه بالوتد ، ولكنه شابه الزحاف من جهة الموقعية ، ومن جهة عدم اللزوم وبهذا المذهب قال ابن واصل . انظر :

ـــ الدر النضيد في شرح القصيد : 348 .

[37] ـــ كقول الشاعر : إن قومي جحاجحة كرام متقادم مجدهم أخيار.

انظر : الجامـــــع : 155 . وكذلك الغامزة : 75 . وهو برواية (عهدهم) بدل (مجدهم) . أو كقول عدي بن الرعلاء الغساني :

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء . انظر : العقد : 5/ 470

[38] ـــ لم تؤكد الكتب العروضية القديمة نسبة القول بالتشعيث في المجتث إلى الخليل ، وقد ذكر أبو الحسن العروضي أنه لم ير في شعر قديم ، وإن كان بعض المحدثين قد استعمله . ولكنه أثبت إمكانية وروده قديما إذ قال : " وقد أنشدني من أثق به شعرا فذكر أنه قديم وهو قوله :

على الديار القفار والنؤي والأحجار

تظل عيناك تبكي بواكف مـــدرار

فليس بالليل تهدا شوقا ولا بالنهار .

انظر : الجامـــع : 163 .

وإنما وقع الخرم في الأجزاء الأول التي تبدأ بالوتد المجموع لأن إسقاط الحرف المتحرك الأول منها لا يمنع من الابتداء بالمتحرك الذي هو ثاني الوتد المجموع . بينما لو دخل الخرم السبب الخفيف فإن سقوط متحركه يؤدي إلى الابتداء بالساكن ، وهذا ما لا يكون البتة .وأما عدم دخوله على الوتد المفروق فلعلتين الأولى ما ذكرناه من امتناع الخرم في السبب الخفيف ، والثانية أن الوتد المفروق لا يقع أول الجزء . ولمعترض أن يقول إذا كانت العلة في امتناع دخول الخرم السببَ الخفيف تكمن في عدم إمكان البدء بالساكن فلماذا لم يدخل الخرم السبب الثقيل لانعدام العلة السابقة فيه إذ لو سقط متحركه الأول لبقي المتحرك الثاني ، ويمكننا البدء به ؟ الواقع أن الخرم لم يدخل جزء (متفاعلن) في بداية المقدار من الكامل لأن هذا الجزء لا يمتنع فيه تسكين الثاني المتحرك إذ كثيرا ما يدخله الإضمار فيؤول إلى (مستفعلن) أي إنه يتحول إلى بنية السبب الخفيف ، ولهذا امتنع خرمه.

يقع الخرم في الصدر أو العجز[39] ووقوعه صدرا أكثر ورودا ، ووقوعه عجزا أكثر ما يقع في المتقارب،وقد أعطى الخليل تسميات مختلفة للخرم بحسب الجزء الذي يدخل عليه ، والتغييرات الداخلة عليه ، والوزن الذي يقع فيه .

---

[39] ــ لم يجز الخليل دخول الخرم في أول النصف الثاني من البيت ، وقصره على أول النصف الأول .قال ابن رشيق : " وقد أنكره الخليل لقلته فلم يجزه ." انظر :

ــ العمدة : 1/ 140 . بخلاف الأخفش الذي أجاز وقوعه صدرا وعجزا . وإنما يقع الخرم عجزا أكثر ما يقع في المتقارب لأنه مقدار قائم على وحدة إيقاعية أحادية خماسية مكررة سبعا في البيت مما يجعله يتصف بدرجة عالية من الرتابة تسمح بكثرة التنويعات للحد منها ، ولذا نجد عروضه الأولى (فعولن)يتعاورها (فعولْ) و (فعلْ) في قصيدة واحدة ، وعروضه الثانية (فعلْ) يأتي معها الجزء (فلْ) في قصيدة واحدة ، ولهذا جاز وقوع الخرم في أول الشطر الثاني منه كما ورد في قول الأعشى :

فإذا دخل الخرم جزء (فعولن ← فعْلن) سمي ثلما ، وإذا اجتمع مع القبض سمي ثرما[40] (فعْلُ) وإذا دخل الخرم جزء (مفاعلتن ← مفْتعلن) سمي عضبا ، فإذا اجتمع الخرم والعصب فيه سمي قصما(مفاعلتن ← مفعولن) .

وإذا دخل الخرم جزء (مفاعيلُ ← مفعول) سمي عقصا .

وإذا دخل الخرم جزء (مفاعلن ← فاعلن) سمي جمما .

وإذا دخل الخرم جزء (مفاعيلن ← مفعولن) الذي في الهزج سمي خرما .

وإذا دخل الخرم مع الكف جزء (مفاعيلن ← مفعولُ) سمي خربا .

وإذا دخل الخرم مع القبض جزء (مفاعيلن← فاعلن) سمي شترا[41] .

فهذا التدقيق من الخليل في وضع المصطلحات الدالة على ضروب التغييرات المختلفة التي تطرأ على الأوزان إنما مرده إلى محاولته التفريق الدقيق بينها للفصل بين كل وزن وآخر بالتمييز بين التغييرات التي تمسه ، حتى وإن كانت تقوم بالوظيفة ذاتها .

فموتوا كراما بأسيافكم والموت يجشمه من جشم

ـــ الأعشى ، الديوان : 201 ، دار صادر ، بيروت 1960 . ومنه أيضا قول امرئ القيس :

وعين لها حدرة بدرة شقت مآقيهما من أُخُرْ . انظر :

ـــ امرؤ القيس ، الديوان : 99 . تحقيق حسين محمد حسين المكتب الشرقي للنشر ، بيروت .

[40] ـــ عد ابن رشيق الخرم والثرم عيبين في الشعر لأنهما في نظره محمولان على البنية النثرية لا الشعرية . انظر :

ـــ العمدة : 1/ 141 .

[41] ـــ حول الألقاب الخاصة بالخرم راجع :

التبريزي ، الكافي في العروض والقوافي : 143 ، 144 ، 145 .

- **قائمة المصادر والمراجع :**

–الأعشى : ديوان الأعشى.دار صادر ، بيروت 1960 .

–التبريزي ، الخطيب: الكافي في العروض والقوافي . تحقيق الحساني حسن عبد الله مكتبة الخانجي ، القاهرة . الطبعة الثالثة 1994.

ـــ د. حركات ، مصطفى : نظريات الشعر . دار الآفاق ، الجزائر . د ت .

ـــ الحموي ، ابن واصل : الدر النضيد في شرح القصيد . تحقيق محمد عامر أحمد حسن . جامعة المنيا ، 1978 .

ـــ ابن رشيق ، أبو الحسن : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . دار الجيل 1981.

– الزبيدي ، مرتضى : تاج العروس من جواهر القاموس: 43/20.دار الهداية.د.ت

ـــ السكاكي ، أبو يعقوب : مفتاح العلوم : تحقيق د . عبد الحميد هنداوي . دار الكتب العلمية بيروت 2000.

ـــ الشنتمري ، الأعلم: شرح ديوان امرئ القيس : تصحيح الشيخ ابن أبي شنب . الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1974 .

ـــ شيخو ، الأب لويس: كتاب شعراء النصرانية في الجاهلية ج. مكتبة الآداب القاهرة.د ت .

ـــ الضبي ، أبو العباس المفضل بن محمد : المفضليات : تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون . دار المعارف 1983

ـــ ابن عبد ربه الأندلسي ، محمد : العقد الفريد : تحقيق أحمد أمين ، أحمد الزين ، إبراهيم الأبياري . القاهرة 1965 .

ـــ د. عبد القادر، صلاح يوسف: في العروض والإيقاع الشعري دراسة تحليلية تطبيقية . الجزائر 1996 ـــ 1997

ـــ العروضي ، أبو الحسن أحمد بن محمد : الجامع في العروض والقوافي . تحقيق ناجي هلال وزهير غازي . دار الجيل 1996

– عنتـــرة : ديوان عنترة . تحقيق محمد سعيد مولوي . بيروت 1970 .

- القرطاجني،حازم : منهاج البلغاء وسراج الأدباء .تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة .الدار التونسية للنشر ،1984.

ـــ المحلي، محمد بن علي: شفاء الغليل في علم الخليل. تحقيق د. شعبان صلاح .دار الجيل بيروت 1991 .

ـــ المرزوقـــي : شرح ديوان الحماسة .تحقيق أحمد أمين و عبد السلام هارون . لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة 1951، 1952 .

ـــ المعري ، أبو العلاء : الفصول والغايات في تمجيد الله والمواعظ .ضبط محمود حسن زناتي .دار الآفاق الجديدة بيروت. د.ت.

- ابن منظور،محمد: لسان العرب:342/12. ط1.دار صادر .بيروت.د.ت.

***